غير انه ينبغي الاشارة، هنا، الى ان هذه التحولات لم تكن بلا جذور، وان كانت جذورها ضعيفة الى حدّ كبير، فقد ساهم عدد من الادباء والكتاب العبريين المستنيرين ودعاة السلام في الكشف، في وقت مبكر، عن حقيقة الصراع، ووازوا بين الحلم والواقع واعترفوا بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره، واقامة دولته المستقلة الى جانب اسرائيل. فساهموا بشكل فعّال في ارساء حال الوعي الواقعي على أرضيـة حال الوعي الاسرائيـلي الشقي الذي كان يتغذّى من جذور في الطروحات السياسية العنصرية للحركة الصهيونية طوال الحقبة الطويلة الماضية. وكذلك، من انعكاس حال الاستلاب الذي عاشها «اليهودي» لسنوات طويلة في اوروبا. الامر الذي ولّد حقيقة هامة تمثّلت بوقفة مراجعة مع الذات لدى عدد كبـير من الكتاب الاسرائيليين أمثال البروفيسور «انيتا شبيرا»، و«بوعز عفرون»، و«بنيامين بيت هلحمي» وغيرهم. وتمثّلت هذه المراجعة، أولاً، في محاولة اعادة قراءة التاريخ السياسي للحركة الصهيونية منذ نشوئها حتى اليوم، اتخذت ثلاثة مسارات هي:

اولاً: «تقييم الصهيونية عبر وضعها في إطارها الفكري الصحيح من غير تحايل...

ثانياً: «اعتبار ' التصادم ' السالف [بين ' حق ' الصهيونية وبين حق اصحاب البلاد الاصليين من الفلسطينيين] ورطة كبرى واجهتها الصهيونية على المستوى الاخلاقي...

ثالثاً: اتهام «القومية» بافتقاد الاسانيد والمبررات العلمية في التاريخ المعاصر للجماهير اليهودية»(٣)

على ان رهـطاً آخر، من الكتاب العبريين راح، عبر التصريحات وبيانات الاحتجاج، يعلن عن مواقفه مما يحدث على الاراضي الفلسطينية المحتلة، على أيدي جنود الاحتلال. في هذا الاطار أعلن يزهار سميلانسكي موقفه من الاحداث بلهجة حادة وواضحة قائلاً: «ان كل من لم يغير رأيه، بعد كل ما جرى هنا مؤخراً، هو شخص مشتبه. سواء كان يسارياً على الدوام، أو كان يمينياً على الدوام، أو كان دائماً في المركز ـ شيء ما حدث هنا مؤخراً كان يجب ان يهز دماغه وأن يغيّر رأيه السابق (...) مشتبه بماذا؟ مشتبه في كونه ليس انساناً وانما متحجراً، وأن قلبه من حجر، ودماغه من حجر، وانه كان من الافضل لو أصابه حجر لكي يهزه. ليخرج ويذهب الى المناطق، ليقف وينظر. وليصبه حجر، وإذا ظل رأسه سالماً ـ يبدأ في التفكير»(٤). ومضى سميلانسكي باتجاه تقديم إجابة على التحديات المطروحة، فكتب: «تطلب منا المناطق [المحتلة] تقديم الجواب ونحن لا نعرف بماذا نجيب، لقد جربنا النيران، وجربنا الغاز، والضرب، ومنع التجول، والحصار، ومحاولة إعادة الهدوء، وطرد المحرضين، والحوار مع الوجهاء، وتفضيل المخاتير وكبار السن. [وعلى الرغم من] ذلك لا تزال [المناطق المحتلة] تقول لنا «كش ملك» (...) ان ما بقي هو أن نرى ـ بكل شجاعة واستقامة، السبب الاساس لهذا الاشتعال، واذا كان السبب الاساس هو الاحتلال المستمر فيتوجب علينا ان نفعل ما يستدعيه هذا الاحتلال المستمر وفوراً»(٥)

وهكـذا يتـأطر المشهد الذي رسمه سميلانسكي لكن نداءه، هذا لا يفصح كثيراً عمّا يضمر وبصراحة، حيث انه يريد جواباً، والجواب الاساس والوحيد الذي يشي به هو الحل. ذلك الحل الذي يشير اليه الروائي أ. ب. يهوشواع بصراحة ووضوح أكثر، وبلغة لا تعرف المواربة حين يقول: «اننا لن نستطيع التصرف مع الفلسطينيين، كما [نتصرف] مع ولد مشاغب؛ يجب الانتهاء من مشكلته [بالواسطة]. لقد كبر الفلسطينيون، ولهذا فإن السلام الذي لا يكون بموافقة وبمسؤولية القيادة الفلسطينية لن يكون سلاماً حقيقياً»(٦).